نور التوحيد وظلمات الشرك

ألقيت في جامع حمراء الأسد بالمدينة المنورة

٢٦/ ١/ ١٤٤٣

الخطيب: عبد الله بن عبد الرحمن الرحيلي

عناصر الخطبة:

١-منزلة التوحيد في القرآن الكريم.

٢-عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد.

٣-التحذير من الشرك ودعاء غير الله.

٤-اجتناب أسباب الشرك، وخطر التشاؤم والطيرة.

٥-جزاء الموحدين في الآخرة.

٦-النهي عن الشرك في الألفاظ.

٧-التحذير من تعليق التمائم.

٨-الوصية بالتعلق بالله وحده، وخطر التعلق بغيره.

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيدا .

أما بعد فاتقوا الله عباد الله؛ فإنَّ من اتقاه وقاه، ومَنْ أقرضه جزاه، ومَنْ شكره زاده.

عباد الله..

يعظم الحديث بعِظم المتحدث عنه.

حديثٌ عن القضية الكبرى، ومهمة الرسل الأولى؛

حديث عن أشرف الدين وأعلاه، وذِروةِ سنامه وقطبِ رحاه.

حديث عن أول دعوة المرسلين، وأكملِ ما في كتب رب العالمين.

امتلأ القرآن الكريم دعوةً إليه، وتعليقًا للسعادة والنجاة عليه.

القرآن العظيم من مبدئه إلى منتهاه: كله حديثٌ عن إخلاص الدين الله، حديث عن وجوب التوحيد وفضله، حديثٌ عن معية الله ونصره لأهله، حديثٌ عما أعده الله للموحدين في دار كرامته.

وخبر عن الشرك بالله، وعن جزاء المشركين وعذابِهم يوم لقاء الله.

في القرآن حديث عن حقوق التوحيد ومكملاته، من اجتناب معاصي الله ولزوم طاعته.

جاء الأمر به والتأكيد عليه مرارا؛ ليزداد المؤمنون من التوحيد والإيمان، وليحذروا الإخلال به والنقصان **(يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ ءامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَـابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَـا رَسُولِهِ وَالْكِتَـابِ الَّذِى أَنَزلَ مِن قَبْلُ)** [النساء:١٣٦].

عباد الله..

ولم يزل النبي داعيا إلى التوحيد في جميع أحواله؛ سفرا وحضرا، سلما وحربا، بدأ به دعوته، وختم به حياته.

إن من أوائل ما نزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم **{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ }** أَنْذِر عَنِ الشِّرْكِ، وادع إلى التوحيد.

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}: عَظِّمْهُ وحده بِالتَّوْحِيدِ.

{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عن الشِّرْكِ والتنديد.

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}: اثبت على هجر الأصنام وهجر المشركين، و دُم متعلقا برب العالمين.

ما ترك نبيكم صلى الله عليه وسلم تقرير التوحيد، حتى وهو في مكة وحيدٌ، يطوف بالأسواق وينادي بأعلى صوته **(يا أيها الناس.. قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)** دعا إليه الكفار، وثبَّت به فؤاد صاحبه في الغار **(لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** [التوبة:٤٠]

وها هو يأخذ البيعة عليه من أصحابه مرة بعد مرة؛ فيقول لهم يوما: **(ألا تُبايِعُونَ رَسولَ اللهِ؟)** فقالوا: قدْ بايَعْناكَ يا رَسولَ اللهِ، ثُمَّ قالَ: **ألا تُبايِعُونَ رَسولَ اللهِ؟** فقالوا: قدْ بايَعْناكَ يا رَسولَ اللهِ، ثُمَّ قالَ: **ألا تُبايِعُونَ رَسولَ اللهِ؟** قالَ: فَبَسَطْنا أيْدِيَنا وقُلْنا: قدْ بايَعْناكَ يا رَسولَ اللهِ، فَعَلامَ نُبايِعُكَ؟ قالَ: **علَى أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، والصَّلَواتِ الخَمْسِ، وتُطِيعُوا، ولا تَسْأَلُوا النَّاسَ شيئًا)**

وعند دنو الأجل يقول صلى الله عليه وسلم وهو في مرض موته : **((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)).**

الله أكبر!

ما ترك عليه الصلاة والسلام تقرير التوحيد وهو وحيد، ولا غفل عنه وهو في الغار طريد، ولا زهِد فيه مع ظهور أمره في المدينة؛ بل ذكَّر به تثبيتا له في قلوب المؤمنين، ولم يتوقف عن تكراره بعد فتح مكة الفتح المبين، فما أجل المكانة! وما أرفع القدر!

أيها المسلمون، إن الشرك بالله تعالى أظلم ظلم، وأعظم ذنب وأقبح إثم، قال سبحانه **(إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّـالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)** [المائدة:٧٢]

وحتى تكونوا من الشرك على حذر، عليكم أن تعرفوا أنواعه وما يؤدي إليه، لئلا تقعوا فيه.

إن من الشرك بالله رب الأرض والسماوات، الاستغاثةَ بالأموات وسؤالَهم قضاءَ الحاجات، أو الطوافَ حول القبور، وتقديمَ القرابينِ لها والنذور، هذا كله شرك أكبر بالله العظيم، موجِبٌ للخلود في العذاب الأليم.

والله تعالى يقول **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَـافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـافِرِينَ)** [الأحقاف:٥، ٦]

وإن من أسباب الشرك الغلوَّ في قبور الأنبياء والصالحين؛ باتخاذ المساجد عليها، فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها مساجد، ولعن من فعل ذلك.

عباد الله.. اجتنبوا الذهاب للسحرة والكهان والعرافين، ومطالعةَ الأبراج والنظرَ للمشعوذين والدجالين، وكل من يدعي علمَ الغيب الذي اختص به ربُّ العالمين.

قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: **"من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"**

وقال عليه الصلاة والسلام: **"من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"**

واجتنبوا عباد الله التبرك بالقبور أو الأشجار والأحجار ، أو تعظيم غار أو التبرك بالآثار.

فلا يُتبرَّك إلا بما دل الشرع على مشروعية التبرك به؛ فالبركة من الله وحده.

واحذروا أيها الموحدون التشاؤمَ بالطيور والشهور والأيام، فإنه من أعمال الجاهلية التي أبطلها الإسلام، فلا تشاؤم بشهر صفر ولا غيره من الشهور، ولا تشاؤم بالبوم أو غيره من الطيور.

قال صلى الله عليه وسلم: **"لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر".**

وإياكم والشركَ في الألفاظ والمباني، حتى ولو لم تقصدوا ما اشتملت عليه من فاسد المعاني فـ **"من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"**

فلا يجوز الحلف إلا بالله ، ولا يجوز الحلف بالأنبياء أو الأولياء أو الكعبة أو الشرف أو الحياة .

واحذروا من ألفاظ الشرك ما يقتضي التسوية بين الخالق والمخلوق؛ فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم: **"أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء الله وحده".**

فلا يجوز قول: ما شاء الله وشئت، ومالي إلا الله وأنت، وتوكلت على الله وعليك، ونحو ذلك.

وإياكم والتعلقَ بالتمائم والخيوط والخرزات، وتعليقَ الخرق وجلودِ الحيوانات، رجاءَ دفعِ العين واتقاءِ الهلكات، وطلبا لجلب السعادة والخيرات.

فالأمر بيد الله تعالى وإليه، وقد أمَرَنا بالتعلق به وحده والتوكل عليه **(وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرّ فَلاَ كَـاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلّ شَىْء قَدُيرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)** [الأنعام:١٨].

أبصر النبي صلى الله عليه وسلم على عضد رجل حلقةً من صفر، فقال: **"ما هذه؟"** قال: من الواهنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أما إنها لا تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً"**

لقد دعا المصطفى صلى الله عليه وسلم على من علق تميمة فقال: **"من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له"**

و أقبل رهط إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقيل له : يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا ؟ قال : **إن عليه تميمة ، فأدخل يده فقطعها فبايعه ، وقال: من علق تميمة فقد أشرك**» .

فاحذروا تعليق التمائم أو الخرق على السيارات ، واجتنبوا تعليق الأساور والأحجار الكريمة والخرزات، أو ما كان منها على شكل كف أو عين زرقاء؛ يُزعم أنها سبب لدفع التوتر وتحصيل الشفاء، فكل هذه من التمائم المنهي عنها، ولو سميت بغير اسمها، فهي لا تدفع ضررًا، ولا تجلب خيرا ولا تصرف حذرًا .

وبعد عباد الله.. فعلقوا رجاءكم بالله وأنيبوا إليه، واعلموا أن من تعلق شيئا وُكِل إليه!

فما ظنكم بمن يعلق خرقة فيوكل إليها، ما أشد خُسره وإثمَه! وما أشنع جرمَه وظلمَه.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن المسلمَ لله حقا؛ المخلصَ لربه صدقا، يفوّض أمره إلى الله العزيز المجيد؛ ويأوي بدعاء الله تعالى إلى ركن شديد.

لقد كان رسول الهدى صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة التعلق بخالقهم، ويقرر لهم العقيدة في بواكير حياتهم؛ فيقول لابن عباس رضي الله عنهما: **"يا غلام! إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك**

بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"

إن تعليق القلوب بغير الرب الخلاق، من أعظم مفسدات القلب على الإطلاق، يوجه العبد إلى غير الله جوارحَه، فيقطع الله عنه سعادته ومصالحه، يكله الله إلى ما تعلق به، ويخذله من جهة ما تعلق بسببه، ويفوته تحصيلُ مقصوده من الله ؛ لأنه تعلق بغيره والتفت إلى سواه، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمَّله ممن تعلق به وصل.

وبعد عباد الله.. فعلقوا رجاءكم بالله، وتوجهوا إلى من أزمة الأمور بيده.

واعرفوه سبحانه بأسمائه وصفاته؛ فمن عرف الله جل في علاه، أدرك أنه لا يخيّب من تعلق به و رجاه.

واقطعوا العلائق عن الخلائق؛ واسموا إلى أعظم الشرف بالاتصال بالخالق.

فقيراً جئتُ بابَك يا إلهي *** ولستُ إلى عبادِك بالفقيرِ

غني عنهم بيقين قلبي *** وأطمعُ منكَ في الفضلِ الكبيرِ

إلهي ما سألتُ سِواكَ عَونا *** فحسبي العونُ من ربٍ قديرِ

إذا لم أستعن بك يا إلهي *** فمن عوني سِواكَ وَمَنْ مُجيري؟

اللهم ارزقنا حسن الظن بك وقوة التوكل عليك، والثقة بوعدك.

اللهم يسر أمورنا، وأصلح أحوالنا.

اللهم اجعلنا من أهل لا إله إلا الله.

اللهم أحينا عليها، وتوفنا عليها، اللهم وفقنا للقيام بها حق القيام، وأدخلنا اللهم بها الجنة دار السلام.

ثم صلوا وسلموا عباد الله.. على النعمة المسداة والرحمة المهداة.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على نبينا محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واخذل أعداءك أعداء الدين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم، واجمع على الحق كلمتهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا ووالدينا عذاب القبر والنار.